مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية
ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767
المجلد 07 / العـدد: 01 (2021)، ص 907- 931

مُشجعي كرة القدم و ظاهرة العنف في الوسط الحضري
(دراسة سوسيو-أنثروبولوجية لدى مُشجّعي فريق مولودية وهران).

ماحي محمد عباس[*1]، حجيج الجنيد[2]

(1) جامعة وهران 2- محمد بن أحمد، وهران، الجزائر. mm.abbes@yahoo.fr

(2) جامعة وهران 2- محمد بن أحمد، وهران، الجزائر. eldjhadjidj@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/10 تاريخ القبول: 2021/05/25 تاريخ النشر: 2021/06/23

Abstract:

The social dimension of the phenomenon of advocacy through football stadiums in the city of Oran has become a major element that draws the features of this phenomenon of sport (or the game, according to the angle of vision). We cannot - for example - follow a football season as a team of Mouloudia Oran without monitoring the events related to the management of this team of a social character, in addition to the events in which the masses play the role of the hero through what the latter brings of a rich social balance to their fields. The sport of football emerged, grew and spread under circumstances that differ from one society to another, which made it bear the characteristics of those societies and sometimes become a major component of them. Football is a social phenomenon and a practice at the same time.

Therefore, in order to analyze the phenomenon of violence in the sports field of the football game among its stadiums, how can we explain what is happening among the young fans of the MC Oran team of transgressions of various forms?

Keywords: the city, sport, football stadiums, fans, violence.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقد اهتم العديد من الباحثين بالظاهرة الرياضية من مختلف زواياها التي تتعدد اقترانا بتعقد الظاهرة و تجدُّرها في مختلف المجتمعات، هذا ما يدفعنا إلى تحديد مجال دراستنا ضمن الفضاء الحضري لمدينة وهران، و بالضبط لدى فئة الشباب المنتمين لهذا الفضاء من المدينة. "إن المدينة هي عالم حي... المدينة الكبيرة ليست إلاّ أربعة أو خمس مئة ألف فرد مُجمّعين عن طريق الصُّدفة في مكان محدّد... المدينة الكبيرة هي جزء من العالم الحيّ للبلد الذي هو العضو الرئيسي؛ بها يرتبط التنظيم الوطني... المدينة الكبيرة هي القلب، المسيّر الرّئيسي للنظام القلبي... هي العقل، المدبّر الرّئيسي للنظام العصبي"[1]. بالمقابل لذلك فإنّنا نجد أن الرياضة و كرة القدم بصفة أخص تقترن هي الأخرى بالصورة العامة المُشكلة لملامح الفضاء الحضري لمدينة وهران، بل لها شعبيّة و انتشار واسعين لدى مُختلف الشرائح الاجتماعية. هذه الأخيرة (كرة القدم) هي ظاهرة اجتماعية تجدرت بعمق في الحياة اليومية لإنسان القرن العشرين.

لأجل فهم تلك العلاقة المُشكَّلة بين الرياضة و العنف نُذكر بالتعريف الذي قدمه De Coubertin في هذا الشأن: " الرياضة هي الممارسة الإرادية و المعتادة للجهد العضلي الشديد، ترتكز على الرّغبة في التطور و يمكن أن تصل حتى الخطر، يجب أن تمارس بحماس، *أو حتى بعنف*. الرياضة ليست التمرين الجسمي الذي يصلح للجميع، بشرط أن تكون عاقلا و معتدلا. الرياضة هي هواية الأقوياء أو من يسعون ذلك"[2]. ما يجلب اهتمامنا في هذا النص هو عبارة: "... يجب أن تمارس بحماس أو حتى بعنف"، فحسب De Coubertin، إن الرياضة في بنيتها تحتوي على درجة من العنف و الذي يُعتبر شرعيا، من جهتنا نتساءل: هل يمكن لهذا العنف المُكوّن للرياضة (كرة القدم على وجه التحديد) أن

[1] M. PERELMAN, Corps, espace et urbanisme, In Revue: Quel corps? N° 26/27, Paris, 05/1985. P 31.

[2] P. DE COUBERTIN, Pédagogie sportive, Ed Librairie J. Vrin, Paris, 1972. P 35.

يكون هو من يولّد حالة أقوى من العنف لدى الجماهير بمختلف صُوره؟ أو بمعنى آخر، هل رياضة كرة القدم هي عامل مُولّد للعنف؟ لأجل التأكد من ذلك يتعيّن علينا تشريح العناصر المُكوّنة لرياضة كرة القدم بُغية فهم العوامل المحرّكة لدافع الحماس و العنف عند الجماهير المنتسبة لفريق ما و المنتمية كذلك إلى المجتمع الحضري المتعلق بحالتنا هنا، أي الشباب المشجع لفريق مولودية وهران. إنّ الالتزام بهذا القدر من التساؤل لفهم ظاهرة العنف في الرياضة غير كاف، فالظاهرة معقّدة بقدر ما تعنيه هذه الكلمة في السياق النفسي الاجتماعي. إنّ الرّياضة لا تهدف للاندماج في ثقافة ما فقط، بل تهدف لخلق ثقافة جديدة. الرياضة هي تعديل للغريزة، خاصة الغريزة الصراعية. لأجل ذلك اعتمدنا في بحثتا على منهج ورؤية سوسيو-أنثروبولوجية حتى نسعى للإلمام بالظاهرة من مختلف الزوايا التي لها صلة بها.

إن لمدينة وهران خصوصيات ترسم شكلها الاجتماعي العام، نعني بهذا أن لها ثقافة مُحدّدة لشكل مُجتمعها ككل. أما فيما يخص دراستنا فنحن نخص من الثقافة ذلك البعد الرّياضي، و كيفيّة تقبّل الشباب الوهراني لظاهرة العنف داخل الملاعب أو خارجه و الذي ينتج عن مباراة كرة قدم. الحديث عن العنف من خلال هذه الدّراسة هو مبني على رأي مجتمع البحث، أي أننا عدا العودة للأسس النظريّة المحدّدة لموضوعنا، لا نُريد أن نُعطي للفعل الذي يقوم به المناصر داخل الملعب حُكمًا مُسبّقا على أنه فعل سلبي، نحن نحاول فهم أسباب هذا الفعل، فيمكن اعتبار السلوك العدواني داخل الملاعب كردّة فعل لمؤثرات داخلية (أي داخل الملعب) أو أخرى خارجية، إذن يصبح هنا الملعب بمثابة المُثير الذي أشار إليه "Pavlov"[1] خلال تجربته الشهيرة.

[1] تجربة بافلوف: و تنسب لصاحبها العالم الروسي Pavlov و الذي عُرف بنظرية الإشراط الكلاسيكي، و هي أحد النظريات المهمة في علم نفس فلسفة السلوك، التي تصف عملية التعلم عن طريق ما يعرف بالمثير (أو المنبه) و الاستجابة.

إنّ العناصر الثلاثة المكونة لصلب بحثنا (الرياضة، العنف و الشباب)، تتكامل و تترابط فيما بينها لدرجة أنه لا يُمكن الحديث عن رياضة كرة القدم دون الإشارة لدور الشباب في السمو بها، بالمقابل لذلك فإنه لا يُمكننا الحديث عنها كذلك دون ذكر ما تُنتجه من أثر عنيف. سنجد أنفسنا أمام معادلة من ثلاثة أطراف هي رياضة كرة القدم، الشباب و العنف. فالشباب هو فئة اجتماعية تدلّ أساسا على مرحلة معيّنة من العمر يُشار إليها زمنيا على أنها تعقب مرحلة المراهقة، أين تبدو خلال هذه المرحلة علامات النضج الفكري، الاجتماعي، النفسي و البيولوجي، كما تبقى أو تُضاف آثار أخرى لمراحل سابقة أبرزها الاستهلاك و الإنتاج الزائد، فالشّباب في أحد التعريفات المُشار إليها في اليونيسيف هو "السيّد +" (+monsieur)، أي أن الشاب يأكل أكثر، يعمل أكثر، طموحه أكبر... و بالتالي حتى انفعاله يكون بدرجة أكبر. كما تجدر الإشارة إلى أن الظاهرة الرياضيّة (كرة القدم) هي تنافسيّة في بُنيتها، ما يعطيها إثارة أكبر و يجعلها من المحركات الأساسية في انفعال الشباب الذي نُذكّر أنّه يمثل ما يقارب 68% من مجمل سكان الجزائر[1]. بالمقابل لهذا فإنّ العنف لا يعتبر حالة طبيعية، بل هو سمة الحالة الاجتماعية التي يتشكل فيها التنافس بين الحاجة و الإشباع و بين الرغبة و الندرة. من هنا، و لأجل تحليل ظاهرة العنف في الحقل الرياضي الخاص بلعبة كرة القدم عبر زاوية التشجيع، كيف يمكن أن نفسر ما يحدث داخل المجتمع الوهراني - المتمثل هنا في فئة الشباب- من خلال الملاعب و حشود الجماهير الشبابية التي تتعصب إلى أقصى الحدود لأجل فرقها، و التي يمكن أن تصل درجات قصوى تُهدد حياة الآخر؟

تتلخص **فرضيات** هذه الدراسة في شطرين، الأول رئيسي و الثاني ثانوي، و هما كالآتي:

- ملاعب كرة القدم تعتبر فضاء شبابي محض، أي أن رياضة كرة القدم تقترن بهذه الفئة الفعّالة، و بالتالي فإن طبيعة الشباب الانفعالية و القوية هي ما تجعل

[1] (أنظر) الإحصاء العام للسكن و السكان (RGPH) 2008، الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر، 2008.

ظاهرة العنف ترتبط بشدّة بوسط كرة القدم، نظرا لارتباط هذه اللعبة (أو الرياضة) بفئة الشباب في مُدرّجاتها مُقارنة بتواجد باقي الفئات الأخرى. بالإضافة إلى ذلك فإن رياضة كرة القدم هي الأُخرى، تحمل في عناصرها - نعني بالذكر مدرجات الملاعب التي تدور فيها أحداثها - أسباب مُولدة للعنف، ما يجعلها من الميادين الرئيسية لنشوب أعمال العنف بين الشباب.

- تلعب الظروف الاجتماعية الخارجة عن مدرجات الملاعب و المُتعلقة بحياة الشباب المُشجع المنتمي للفضاء الحضري دورا ثانويا في رسم ملامح السلوك العدواني الناتج عنه في مُدرجات ملاعب كرة القدم، و ما طريقة التشجيع عند الجماهير إلا منفذا تعبيريا لفئة الشباب.

منهجية الدراسة:

يقتضي منك لأجل القيام بدراسة ذات بعد أنثروبولوجي أن تكون جزءا حيّا من مجتمع البحث، أي في حالتنا أن تكون مُتجدّرا ضمن جمهور المناصرين في الملعب (ملعب أحمد زبانة و ملعب الحبيب بوعقل أين جرت أحداث مُباريات الفريق المعني بالدراسة)، بغرض تسجيل سلوك المجتمع الذي نحن في إطار دراسته و مقاسمة الشعور الذي يعيشه هؤلاء المُناصرين، أين تعيّن علينا الدخول إلى الملاعب تكرارا و معايشة الأحداث و المشاعر التي يتقاسمها مختلف المناصرين، لذلك قمنا بالاعتماد على تقنية الملاحظة المباشرة و استعمال بعض الوسائل المتاحة لذلك كآلة التصوير و مسجل الصوت، و هذا طوال الموسم الكروي 2013/2012.

قبل الغوص في البحث الميداني، عملنا على مطالعة الأعمال السابقة ذات الصلة بالموضوع، و النظر في أهم المراجع التي يمكن أن توجه و ترشد البحث في سوسيولوجيا الرياضة، كما قمنا بمجموعة من المقابلات الاستطلاعية التي شملت باختصار كل من له صلة بموضوع البحث، من باحث في الميدان، مسير أو ذا صلة بإدارة فريق كرة قدم،

ممارس رياضي أو مشجع كرة قدم أيا كان انتسابه الرياضي، في الأخير حصلنا من خلال هذه المطالعات و المقابلات الاستطلاعية على رؤية واضحة أكثر عن حقل بحثنا لنرسم مسعى علمي متنامي و ذا نقطة انطلاق.

بعد ذلك و في إطار الدراسة الميدانية، اختيرت عيّنة البحث بناءا على مجموعة من المعايير أهمّها أن تكون مُتّزنة من حيث النماذج المُختلفة المكونة لمجمل الجمهور من المشجعين، وهذا بعد الارتداد مُسبقا إلى مُدرجات الملعبين بهدف الاستكشاف. كما حرصنا على تنوع هذه العينة (في حالتنا نقصد بالتنوع كل ما يتعلق بالسن، الحي السّكني، مكان الجلوس في الملعب...)، و ذلك حتى تكون مُمثّلة نظريا لمجتمع البحث. لكن و مع مرور الوقت اتجهنا نحو تحديد معايير أخرى، ذلك أنه من خلال التردد على الملعب، و بالتحديد في مباريات مولودية وهران (MCO)، لاحظنا وجود تجمّعات لنوع خاص من المشجعين أبرزها تجمّع الأولتراس (ULTRA'S[1]). لذلك قسّمنا لاحقا العيّنة إلى جزأين بارزين من مشجعي مولودية وهران:

أ- عينة خاص بأفراد مشجّعين يرتادون الملاعب لأجل فريقهم و لا ينتمون إلى تنظيمات أو تكتلات خاصة بالمُشجعين و يتحددون في الفئة العمرية التي استهدفناها، أي من 15 إلى 24 سنة، أين ضمّت هذه العينة عشرة (10) حالات.

ب- جزء آخر من العينة استهدف أفراد مجموعتين مختلفتين من "الأولتراس"، ينتمون إلى نفس الفئة العمرية السابقة و يشجعون نفس الفريق، احتوت هذه العينة نموذجا لعشرة (10) أفراد عن كل مجموعة، أي عشرون (20) حالة

[1] ULTRA'S: "نقصد بالمناصرة وفق ما يعرف بثقافة الألتراس ذلك الانتقال من واقع المناصرة العفوية و الفردية إلى واقع المناصرة الجماعية المتناسقة، المُسطرة و المتألقة"، دحمان مصطفى و زعبار سليم، الألتراس الجزائرية من منظور سوسيولوجي بين الولاء للنادي و التعلق بثقافة المجموعة، المجلة العلمية العلوم و التكنولوجية للنشاطات البدنية و الرياضية، العدد 15 – الجزء الأول، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، جوان 2018.

لمجمل التنظيمين معا و تُعرف تسمية هذين التنظيمين ب: LEONES REY و RED CASTLE.

هذا ما يعطينا في الأخير مجموع 30 مقابلة ككل. من خلال هذا التسلسل في تحديد نوع العينة يتّضح كيف تطور سير البحث الميداني زمنيّا، ففي أوّل المشوار البحثي كنّا نشترط أن يكون فرد العينة مشجعاً لفريق كرة قدم فحسب، و بعد ذلك أخذ الواقع يفرض نفسه من خلال إعطاء أهمية لنوع آخر من المشجعين. كما تجدر الإشارة أن الدراسة الميدانية المتمثلة في المقابلات امتدت طوال موسم كروي (أي حوالي 09 أشهر من الموسم 2013/2012)، و ذلك في مدينة وهران و بالضبط في المكان الذي يرغب به صاحب المقابلة، داخل الملعب، بجوار الملعب، في المقهى، في الحي...). مدّة كل مقابلة تراوحت بين الساعة و نصف إلى ساعتين. يبقى أن نُرجع سبب اختيار فئة 15- 24 سنة كعينة الدراسة إلى غاية البرهنة على العلاقة بين الرياضة، الشباب و العنف، أين ارتأينا تحديد فئة لها صلة مباشرة بهذه المعادلة، لأجل ذلك و بعد التردّد على الملاعب، قمنا باستطلاع أوّلي بسيط لمعرفة معدّل سن الشباب المتواجد بكثرة في مُدرّجات الملعب، فكان السنّ بين 15-24 هو الفئة المُسيطرة على مُدرّجات الملاعب و المُنتجة أكثر لحماسه، فمن أصل 100 فرد سُئلوا (تمّ اختيارهم عشوائيا) عن سنهم وجدنا 70% منهم لا يتراوح سنهم بين 15 و 24سنة، و هذا سواء بالنسبة لفئة المناصرين غير المنتسبين لمجموعة ما أو الذين ينشطون تحت مجموعات "الأولتراس".

2. الرياضة، ظاهرة اجتماعية حضرية

تجدر الإشارة إلى أن ميدان البحث في سوسيولوجيا الرياضة لم يجد النور منذ الخطوات الأولى للبحث في علم الاجتماع، لقد اهتمت السوسيولوجيا في بداياتها بمواضيع أكثر "جدّية" في السياق الاجتماعي العام. "...في سنوات الخمسينات، موضوع كهذا (الرياضة و الترفيه)، كان خارج عن إطار الشرعية السوسيولوجية، فعندما بدأنا التفكير

في السؤال الذي يهمّنا هنا، كانت السوسيولوجيا الرياضية لا تزال في بداياتها. أنا أتذكر جيدا أننا تساءلنا مرارا إذا كان يمكن للرياضة، أو بصفة أدق كرة القدم، أن تعتبر كموضوع بحث لائق بالعلوم الاجتماعية..."[1]. من جهتنا كذلك بدورنا مررنا على نفس الوضعيّة في أوّل المشوار البحثي، فاختيار موضوع البحث لم يكن بالشيء البسيط، إذ أنّ موضوع الرّياضة رغم أنّه يشغل مجال اهتمامنا سواء في ميدان البحث أو في الحياة العامة ككُل، إلا أنه بدا لنا غريباً عن الحقل السّوسيولوجي فأخذتنا الرّيبة للالتحاق بركب الباحثين في هذا المجال. لكنْ بعد القيام ببعض المطالعات المتعلقة بعلم اجتماع الرّياضة بصفة عامة، تغيّرت الرّؤية و اتّضح أن الرّياضة حقيقة لها جانب تقني كبير، إلاّ أنها تحمل في طيّاتها العديد من الجوانب الأخرى أبرزها الجانب الاجتماعي. لذلك يمكن القول أنه من بين الأهداف التي سعت إليها هذه الدّراسة هي تسليط الضوء و التعريف أكثر بحقل علم الاجتماع الرياضي.

من جهة أخرى يبقى هدفنا الرّئيسي المُتعلق بمضمون البحث و تحليله هو محاولة فهم تلك العلاقة بين الرياضة و العنف من جهة و العلاقة بين المجتمع الجماهيري (المتمثل في فئة الشباب) و العنف من جهة أخرى، من أجل الوصول إلى وضع أسس علمية لظاهرتين يبدو أنهما متناقضتين، لكن يمكن أن يكون العكس، أي أن يكون العنف مكوّن تاريخي للرّياضة. و بذلك فإن تصوّر فُرجة رياضية جماهيرية خالية من العنف يبقى مجرّد حُلم. بل يمكن القول مُجرّد تُهمة! فإن كان العنف يقتل الرياضة أو كان سيتسبب في ذلك لماتت في مهدها. و الحديث عن العنف هنا هو نسبي يتعلق بنوع الرياضة (كرة القدم بالنسبة لحالتنا)، فليست جميع الرياضات ذات الفرجة توَلّد نفس الدّرجة من العنف، في هذا الشأن صرّح العديد من المُشجّعين: "كرة القدم تبغي الحماس، تبغي

[1] N. Elias, E. Dunning, Sport et civilisation: la violence maitrisée, Ed Fayard, Paris, 1986, p1.

التعياط، تبغي تكونك حربي مع فريقك"، أي أن الحماس و الأهازيج هي متعة كرة القدم، بل يجب على المشجع أن يتصف بصورة المحارب.

إن العلاقة بين المجتمع و ظاهرة كرة القدم جدّ وطيدة و عميقة، و هذه الصّفة هي ذات صبغة عالميّة[1]، ما يجعلنا نعتبر أن كرة القدم هي الرياضة الأكثر شعبية في العالم، هذا دون الحديث عن الرياضات التي تأتي في المقام الثاني و الثالث من حيث الشعبية. إنه من خلال هذا الانتشار الكبير للرياضة، يتم البرهنة عن الهوية الوطنية (أفضل مثال على ذلك الألعاب الأولمبية). "إن الرياضة، و كرة القدم منها على وجه الخصوص، هي كذلك إحدى الممارسات السوسيو- ثقافية التي تساهم في إعداد و إبراز أشكال التلاحم الاجتماعي و الوطني[2].

هذه الفكرة (التلاحم الاجتماعي) تبقى نسبية، فالرّياضة كظاهرة اجتماعية لها أوجه أخرى عديدة من بينها ظاهرة العنف و التعصب التي حقيقة لها دوافع اجتماعية، نفسيّة و تاريخية... مثلما يؤكّد على ذلك فشل كلّ المحاولات التي بُذلت للقضاء على ظاهرة العنف في الملاعب، فأسباب العنف في الملاعب تتحدّى أصوار ميادين كرة القدم. حسب م. سنوسي في مذكرته حول العنف و المجتمع يرى أن المناصر في المدرجات حامل لوعي اجتماعي و لطموح و ثقافة[3]. لكن بالمقابل لكل هذا فإن الظّاهرة الرياضية لها كذلك تاريخ يُميّزه إيقاع خاص به، لا يمكن اعتبار الظاهرة الرياضة كمُلحق لظروف اجتماعية فحسب، بل هي الأخرى، لها أثر على الظروف الاجتماعية ككل، أي لها صدى خاص بها : "لا يمكننا أن نفهم مباشرة ماهية الظواهر الرياضية في فترة زمنية مُعيّنة، داخل بيئة

[1] Cf. P. Boniface, Le monde contemporain, grandes lignes de partage, Ed Puf, Paris, 2001.

[2] ج. بولبيار، الرياضة ظاهرة و ممارسات، إنسانيات، العدد 34، CRASC، وهران، 2006، ص7.

[3] (أنظر) م. سنوسي، كرة القدم و المجتمع: دراسة ميدانية لظاهرة كرة القدم في مدينة غليزان،رسالة ماجستير في علم الاجتماع، وهران، 1992/1993.

اجتماعية معينة، من خلال ربطها بعلاقة مباشرة مع الشروط الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمعات المعنية فحسب، فتاريخ الرياضة تاريخ مستقل نسبيا يمتلك، حتى لو أكدت عليها الأحداث الكبيرة للتاريخ الاقتصادي و السياسي، إيقاعه الخاص به و قوانين تطوره الخاصة به و أزماته الخاصة به، باختصار تسلسل أحداثه التاريخية الخاصة به"[1].

إنّ التحليل السوسيولوجي للعنف في الرّياضة عرف تطورا وتنوعا في أبحاثه، فالدراسات بيّنت بوضوح الأوجه الاجتماعية المتعدّدة للرّياضة، كما سمحت أيضا بتجاوز فكرة أنّ الرّياضة وُجدت لتحدّ بالضرورة من العنف. فمن خلال تحليل مختلف التجاوزات العُنفيّة، هناك أربعة مسالك يتمّ الحديث عنها: العنف المباشر بين الفاعلين الرّياضيين، العنف المباشر بين الجماهير، العنف غير المباشر (حوادث، كوارث، عدم التنظيم الذي يُنتج خسائر جسميّة...) و العنف الرّمزي، إذن من جهة، العنف الواقعي (الذي وقع فعلا) و المعترف به (غالبا ما يكون جسمي)، و من جهة أخرى، العنف الرّمزي، أي أشكال العنف غير المصرّح بها من قبل الأفراد الذين يخضعون لها و هم يعتبرون ذلك شرعيّا و هو جزء من نظام قِيَم، في هذا الشأن يؤكّد أحد المُشجعين: "يا خويا أنا نعاير و المُنافس يعاير و يصرخ هو ثاني، لازم كل واحد فينا يسيطر على الملعب. اللاعبين فوق الميدان هما ثاني يحاربوا، كرة القدم فيها رابح وخاسر، أفضل تبكي أمه و ماتبكيش أمي... شوف الفريق الوطني، ماشي يعيطوله مُحاربي الصحراء؟" (مقابلة رقم 12: ب.ص، 23 سنة)، أي أن السبّ و المجابهة العنيفة ممارسة عادية في مدرجات الملاعب، فيشبه لقاء كرة القدم بالحرب، فيها رابح و آخر خاسر، لذلك من الأفضل أن يكون هو رابحا فتبكي أم المنافس الذي هو العدو و لا تبكي أم المناصر. هذا ما يؤكد صعوبة تحديد مجال الممارسة العنفية المسموح بها، و أين تبدأ درجة العنف المُعلن و العنف الذي يبدوا عاديا لدى

[1] P. Bourdieu, Questions de sociologie, Ed Minuit, Paris, 1984, p284.

المشجع، ليضرب هذا المشجع مثالا عن الفريق الوطني الجزائري الملقب بمُحاربي الصحراء على طريقة السؤال المُتعجب من الذين يعتبون تصرفاتهم عنفيّة.

3. العنف في حقل الرياضة و تفسيراته:

كبداية و لأجل تحديد الصور العامة لظاهرة العنف في وسط كرة القدم، يمكن مُلاحظة عدّة درجات من العنف في هذا المجال أبرزها:

- العنف المسموح به (أو الشّرعي) و العنف غير المسموح به في حقل اللّعب: يمكن أن يكون قبل كلّ شيء على مستوى السّلوك، الذي نسمّيه "بالعدواني" (في المعنى المتعلق بالاندفاع البدني القوي أثناء المواجهة)، الذي يحترم قوانين اللّعب. نجده بالخصوص في الرّياضات الجماعية، و كذلك في الرياضات الصّراعية، هذا العنف هو شرعي لأنه يخضع لقوانين اللّعبة.
- السّلوكات العدوانيّة (أو العدائيّة) أو العنيفة التّي لا تحترم قوانين اللّعب: رغم قولنا أن هذه التصرفات تحمل درجة أكبر من السلوك العنيف، إلاّ أنّنا نجد نفس المنطق الاجتماعي المُتعلق بالعنف المسموح به. يُعرّف التصرف العدواني في دراسات خاصة بعلم النفس الاجتماعي على أنه فعل (جسمي أو لفظي) الهدف منه جرح أو الإساءة إلى الغير. حسب هذه الرّؤية فإن "العدوان الرياضي" يندرج ضمن إستراتيجية مقصودة من قبل الرياضي.
- العنف خارج الحقل الرياضي (خارج اللّعبة): هنا نقصد العنف المباشر عند الجماهير، سواء في المدرّجات أو خارج الملعب بمناسبة لقاء رياضي، درجة العنف مرتبطة بنوع الرياضة و كذلك أهمية و رهان المقابلة. الدراسات تهتم خصوصا بالرّياضات الجماهيرية الجالبة للحشود المولعة و الهائجة في المدرجات و بالقرب من الملاعب(خاصة كرة القدم). و ككل الممارسات الاجتماعية، فإن استهلاك المهرجان الرياضي يحمل معه تجاوزات، خاصة في كرة القدم.

بذلك سرعان ما تتحول المُناصرة (Supportérisme) إلى مبالغة و تعصب بسبب لقاء بين ناديين أو بلدين أين يمكن أن تتجلى في صور العنصرية أو التنظيمات الإجرامية. في هذا الصدد، قام Christian de Montlibert[1] بدراسة حول أحداث ملعب Heysel[2] في 1985، و ذلك لتحليل المؤثرات الخاصة بالمتغيرات التي تسبب العنف الجماهيري. بالنسبة إليه، فإن العنف في المدرجات هو نتاج مؤثرات المهرجان، الهيجان المرتبط بنشوة متابعة اللّقاء، الضغط الناتج عن الرّهانات (التي تزيد من حدّتها وسائل الإعلام) و المُبالغة في معنى الشرف، يمكن اعتبارها كمؤشّرات تولّد الظروف المواتية للعنف في الملاعب. يمكن أن نجد مؤشّرات أخرى، كوجود عصابات تفلت من القوانين التقليدية الخاصة بجمعيات المُناصرين أو شكل الملعب الذي يمكن أن يُساعد على اقتراب جماعات المُشجّعين. بالعودة للميدان المُتعلق بنا، لاحظنا أن العديد من هذه المُؤثرات المُسببة للعنف موجودة في الملعب الخاص بدراستنا، فمتعة مشاهدة اللقاء الكروي تعبئ شعور الفرد بالحماس الإنتمائي (أي أن المشجع يشعر بالفخر لكونه يشاهد فريقه على الملعب أمامه مباشرة)، فإن سُجّل هدف ضد فريقه فكأنما طُعن في شرفه (إحساس بالإحباط المعنوي). أضف إلى كل هذا فإن الملعب كبنية ليس مهيأ لفرض صرامة بين مختلف الأفراد المناصرين، سنجد مختلف أشكال التجمهر العشوائي، ليست هناك كراسي خاصة بكل مناصر، يمكن للجميع أن يجلس أين ما يشاء، ما يجعل مختلف التجمعات العصابية تجد في المدرجات مكان مفضلا لها... كل هذا و أكثر، سيجعل أي انفلات عدواني يتحول بسهولة إلى أحداث عنف مختلفة الأثر. في هذا الشأن يضيف مناصر: "تربحني في الملعب نتاعي و تديلي ثلاث

[1] Cf. C. de Montlibert, « Sport, spectacle sportif et violence. Le drame du Heysel »,In Actes du colloque sur les sports, Strasbourg, 1988.

[2] حادثة Heysel: وقعت خلال نهائي كأس أوروبا للأبطال بين فريق ليفربول (Liverpool) و فريق اليوفي (Juventus) في ملعب بالقرب من بروكسل، و خلفت 39 قتيل و 600 جريح.

نقاط يعني مسيتلي الشرف نتاعي، وتزيد تستفزني بجمهورك، هذا مستحيل... نربح و لا نحرّم، ياك أنا الاعب رقم 12" (مقابلة رقم 3: ب.ت، 20 سنة)، بمعنى أن الخسارة على الملعب هي تعدّ على شرف مبني في فكر المناصر. هنا يتم تجاوز فكرة الربح و الخسارة، فهذا المناصر يشير إلى أن مباراة كرة القدم لا تتلخص في مُجرد لعبة، إنها قضية شرف و هو كمناصر له دور كأي لعب فوق الميدان.

في نفس السياق و في نفس الفترة من الزمن، نجد كذلك Alain Ehrenberg[1] يوضح أن عنف الجماهير ليس مُجرّد انحراف عن المهرجان الرّياضي. فهو أيضا وسيلة اجتماعية، يمكن أخذه بعين الاعتبار من خلال التحليل عبر زاوية خاصة بتخيلنا الديمقراطي: أي "المُساواة". التجاوزات العُنفيّة (Le hooliganisme[2]) ترجع إلى سبب "الميل بأن أكون مُتساو" (La passion d'être égal). حتى أُلاحَظ و يُعترف بي كفرد، الهوليكانز (Les hooligans) يُولّدون العرض في المدرجات. العُنف عند "الهوليكانز" (Hooligans) يُحرك أقطاب الرؤية من أرضية الملعب إلى المدرجات أين ستُلعب مُنافسة مُوازية لتلك التي في الأرضية. من هنا يمكننا وصف الملعب كفضاء للتعايش الاجتماعي، الصراع و الإدماج، إذ يصبح نقطة التقاء و تقارب بين الشباب، فهو يسمح لهم من بسط معالمهم الفردية داخل الفضاء الحضري و بناء محيط اجتماعي خاص بتصوّراتهم و طبيعة الواقع الذي ينتمون إليه خارج أسوار الملاعب. الرياضة (كرة القدم) ليست إلا لعبة إنها أكبر من ذلك.

إن هذا الصدى الكبير لرياضة كرة القدم يُبرزه بوضوح المختص في البحث الياضي J-M Brohm حين يستعمل عبارة "الطاعون الانفعالي" (la peste émotionnelle)[3]، فلقد حاول من خلال العديد من أبحاثه أن يبين الآثار السيكولوجية المتعلقة بالحشود

[1] A. Ehrenberg, Le culte de la performance, Ed Calmann-Lévy, Paris, 1991, p59.

[2] Hooliganisme: هو تنظيم ذو أصل بريطاني يهدف للتقاتل إلى أقصى الدرجات بين فئتين من جماهير كرة القدم.

[3] J-M. Brohm, M. Perelman, Le football, une peste émotionnelle, Ed Gallimard, Paris, 2006, p 29.

و الجماهير. كرة القدم هي الرياضة الأولى في هذا الميدان، إنها التظاهرة الأكثر إنتاجا للأحداث و العالمية، و التظاهرة الأكثر حماسا. و في نفس السياق يسعى C. Bromberger ،للكشف عن "الهيكل المُتخفي ضمن العبارات و السلوكات"[1] الناتجة عن مباراة كرة قدم و الولع المُتحزب الذي يحيط بها، فيعبر عن ذلك بمصطلح اثنولوجيا الولع الجماعي، كما حاول البحث في أمر وحركات ذلك الغليان الجماعي البادي للعيان و ما يميزه عن سائر الظواهر. إننا هنا بصدد الحديث عن اثنولوجيا تتعدد فيها زوايا و مستويات النظر، بما يسمح برصد تداخل الانتماءات و المحددات في عالمنا المعاصر، و حصر الخصائص المميزة للموضوع. من ثم الحصول على تفسيرات متنوعة الزوايا. الشيء الذي سَعَينَا للعمل به، فلأجل محاولة فهم السلوك الجماعي للمناصرين المتحمسين داخل الملعب لم نغلق زاوية النظر و الطّرح داخل محيط الملعب فقط بل توسعنا خارجه من أجل البحث في تلك الأسباب غير المباشرة بالنسبة لمصدرها لكنها لها صلة مباشرة بالنسبة للسلوك العدواني داخل الملعب ككل، نقصد بهذا مختلف الدوافع الاجتماعية المحددة للسلوك الفردي.

لاحظنا أنّ الجزائر مرّت بحقبتين بارزتين لهما أثر مباشر أو غير مباشر في تحديد و لو جزئ من أشكال العنف الراهن الذي يعيشه المجتمع ككل و الشباب خصوصا: الاستعمار الفرنسي و العشرية السوداء، هذه الأخيرة نرى أنها الأقرب إلى أذهان فئة الشباب المعنيّين بالدّراسة كونهم لم يعيشوا فترة الاستعمار (و لو أن الأجيال السابقة أبدعت في إيصال صورة هذه الفترة). إن هذه الفئة من الشباب التي نخص بها دراستنا تمثل عنصر رئيسي في التركيبة البشرية الإجمالية التي بلغت في 1 جانفي 2012 ما يقارب 37,1 مليون نسمة، منها 38,65% يتراوح سنهم بين 15 و 34 سنة أي 14,3 مليون نسمة، و هذا رقم يفوق عدد

[1] نيقولا بويج- سيداج ، عرض ل: مباراة كرة القدم: اثنولوجيا الولع المتحزب في مرسيلي، نابولي، تورينو، ، مجلة متون عصرية، التمدن بين الاجتماع و التاريخ، (CEDEJ)، رقم 02، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001، ص 174.

سكان الجزائر غداة الاستقلال و الذين كان يقدر عددهم 12 مليون نسمة حسب أول إحصاء بعد الاستقلال في 1966[1]. أما المُلفت في الأمر مثلما يشير إلى ذلك م. س. بعلي في مذكرته حول العنف بملاعب كرة القدم، فإنه خلال الحقبة السوداء من تاريخ الجزائر، و بعد أن اكتسح العنف جميع مجالات الحياة تقريبا، شهد بعدها تراجعا نسبيا ليعود في الحقل الرياضي بشكل أكبر، لنجد بعدها العنف الناتج عن كرة القدم يتعدى أسوار الملاعب و يصبح يمس الشوارع و المحيطات المحاذية لها. ستظهر صور أخرى للرفض و العنف الرمزي أقرب إلى المخيال الشعبي من خلال التسميات التي يطلقها الأنصار على فرقهم و التي تتماشى مع المعطى الثقافي و الاجتماعي. مظاهر العنف أخذت كذلك أشكالا أخرى و أكبر مثل العنف اللفظي الذي أصبح الشعار الأساسي لدى المناصرين، و كذلك العنف الجسدي من خلال الاعتداءات[2]. في هذا السياق لاحظنا خلال متابعتنا سلوك الجماهير قبل، أثناء و بعد اللقاء أن هناك العديد من العبارات التي ترمز إلى صور خارج الإطار الرياضي، و العديد من الطرق التي يسيطر بها الجمهور المشجع لفريق مولودية وهران على ذهنية الفريق الخصم، فمثلا أحيانا يستعملون عبارات سب و مس شرف لشخصيات فنيّة أو ذات شهرة جماهيرية (من أجناس أنثوية خاصة، لأجل التأثير في عنصر الشرف لدى الآخر) و ذلك أثناء تأديتهم لأغانيهم الجماعية: "دزاير كولات كولاوها ولاد (سب)... لا لا لا (سب) لا لا لا (سب)... نعيمة الشابا شحال تبغي (سب)..."[3]. تجدر الإشارة إلى أن معظم المناصرين الموجودين على الملعب يجدون لذة في ذلك، كأنما به تصرف مزدوج الغاية، التأثير على الخصم و إخراج الشحنة السالبة المكونة لمكبوت الفرد.

[1] N. Safir, La jeunesse algérienne : un profond et durable malaise, In Confluences Méditerranée, Ed l'Harmattan, Paris, 2012, p155.

[2](انظر) م. س. بعلي، العنف بملاعب كرة القدم: مقاربة أنثروبولوجية لحالة أنصار كرة القدم في مدينة مستغانم، مذكرة ماجستير فيالأنثربولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم، 2009/2008.

[3] مجموعة من الأغاني المرددة تكرارا في ملعب مولودية وهران.

4. تشجيع فريق كرة قدم و علاقته بظاهرة العنف:

كرة القدم بعيدة من أن تكون مشتقة من العنف الكامن و المُتفجر و الذي يجري في عمق مجتمع الحداثة، لكنها تمُدّه بحقل للتعبير العفوي. نحن هنا نتجاوز الحديث عن البطل، نحن نتحدّث عن الجمهور، الذي يُشارك في العادات الرياضية المتعلقة بالحداثة المولدة للعنف. الولوج الجماعي الوحشي، الأحداث الدمويّة، مشاهد تخريبيّة... كلّها اعتُبرت لمدّة طويلة كأعراض للتخلّف، نذكر كمثال عام في هذا الشأن ما يحدث تكرارا في ملاعب أمريكا اللاّتينيّة أثناء لقاءات كرة قدم، الأموات ال 39 بسبب حادثة هيسل(بروكسل) في ماي 1985 يمثلون كذلك ضحايا وحشية مناصري فريق ليفربول الذين قدموا لمواجهة جماهير اليوفنتوس... و العديد من الأمثلة الأخرى لعالم غالبا ما يُسمى متطور. لقد تبيّن أن العنف يشمل حتى البلدان المُتقدّمة[1]. إن الرياضة مبنية على تقبل هذا النظام الجديد من العلاقات، هذه الأخيرة هي مبنية على مبدأ الهيمنة و الخمول اللذان لا يولّدان إلاّ نرجسية الأنا، بخلاصة تولُّد مناخ الفردانية (l'individualisme) الهائج الذي تغذّيه الرياضة حتى وإن ظهر جماعي الصورة.

حقيقة إن كرة القدم ذات صفة اللعبة إلا أنّها لا تتقلص في مجرّد لعبة، لكن سرعان ما تتحول اللعبة إلى رهان خاصة إذا كان يحمل درجة عالية من الأهمية. لهذا وجب التذكير دائما بالجانب الترفيهي للرياضة. نتحدث في هذا الشأن عن ما قدّمه J. Dumazedier من دراسات، لقد وضع تحوّل بالنسبة لمفهوم الترفيه مقارنة مع ما كان يتداول نسبيا في سوسيولوجيا العمل و الصناعة. في هذا الصدد يُصرح: "العديد من الباحثين في فلسفة العمل يعتبرون الترفيه كفرع تابع و مكمل للعمل، كما أن العديد من الأخصائيين في الأسرة لا يذكرونه إلا نادرا، لذلك وجب الحديث عن الترفيه و تحديد

[1] Cf. J. Chesneaux,De la modernité, Ed La Découverte, Paris, 1983.

حقله العام ثم إثبات أهميته مقارنة مع باقي الميادين (الأسرة، العمل، الدين...)، حتى نصل في الأخير لوضع معالم حضارة الترفيه"[1].

لكن Dumazedier يظهر من خلال تحليله لظاهرة الترفيه أنه يضعنا في موقف التباس، فحديثه عن تحرير الظاهرة الترفيهية عن باقي الميادين يظل قائما إلى حدّ ما من الجانب النظري. ذلك أن الشاب حينما يذهب إلى الملعب لمناصرة فريقه لن يعتمد في ذهنه على فكرة واحدة و هي أنه يرفه عن نفسه، سيجد نفسه أمام واقع آخر و معقد، العديد من الشباب صرحوا أنهم يعشقون فريق مولودية وهران حتى الموت، و أنهم بفضل المولودية أصبح لحياتهم معنى، إذن نحن أمام واقع مغاير. في هذا الشأن يصرح شاب من عينة البحث: "أنا مين تخسر المولودية تحكمني القنطة، نولي ما نشوفش... لو كان يخرب فيا أي واحد نلسق فيه، المولودية هي أم ثانية، تلمنا دايمن و تخلينا نحلموا... كي تقول المولودية تقول وهران، تقول الحمري، تقول الجمهور الي ما يوليش الرول..." (مقابلة رقم 24: ب.ع، 24 سنة) بمعنى أنه إن خسر فريقه كأنما يفقد بصره،يتحول إلى إنسان آخر، إنسان عنيف قابل للشجار بسرعة، دليلا عن حبه و تعلقه بفريقه، بل أن فريقه مولودية وهران هو عبارة عن أم ثانية تجعله يحلم و ترمز إلى المدينة ككل. و يضيف شاب آخر: "فريق مولودية وهران يجري فالدم، حنا كبرنا بالمولودية من الأب إلى الجد، كي نروح للمدرجات نروح نشجع الفريق نتاعي إلى آخر نفس بلا ما نحبس، و مهما كانت الظروف، نستمتع بالكرة بصح ما نقعدش ساكت، نوقف مع الفريق ناعي"، يقصد بذلك هذا المشجع أن فريقه المفضل مولودية وهران هو إرث انتقل من الجدّ إلى الأب، يجري كالدم في عروقه، لن يتوقف عن تشجيعه أبدا و لن يتركه وحيدا. في نفس السياق نشير كذلك إلى عبارة شدت انتباهنا من خلال التردد إلى الملاعب، كانت مكتوبة على جدار: "تمتع أيها

[1] J. Dumazedier, Vers une civilisation du loisir?, Ed Seuil, Paris, 1973, p238.

المنافس فأنت تلعب ضد المولودية"، للدلالة على صغر حجم كل أي فريق يلعب ضد المولودية الوهرانية.

إن المدينة الجزائرية في علاقتها بالشباب، تمارس ضبطا اجتماعيا من خلال المؤسسات الرسمية التي تحتضنها، الضبط الاجتماعي الذي تمليه سلطة مركزية بتوظيف السياسات الاقتصادية-الاجتماعية المُرسّمة قانونا. من هنا تُفهم المدينة كأداة تسلط و كأداة اتصال. و بالتالي، عندما تعجز السياسات الاقتصادية-الاجتماعية الموجهة للشباب عن مأسسة جزء كبير من حياة و نشاطات و علاقات هؤلاء، و عندما يتولّد إحساس أو قناعة لدى الشباب بفشل الوعود الكبيرة التي يطلقها السّاسة باتجاههم، تنشأ هوة بين الشباب و المؤسسات الرسمية التي من المفروض أن ترعى و تحمي حقوقهم، فيقوى الشك، و يتزاوج مع النقص الفاضح في نظام الاتصال، و هذا يؤدي في آخر المطاف إلى تذمر عام يحتاج فقط إلى شرارة لكي يتحول إلى عنف جماعي من الشباب يستهدف أساسا المؤسسات الرسمية و رموز الدولة، في السياق ذاته يصرح شباب: "الحقرة و التهميش كثرت في وهران، القوي يأكل الضعيف... يا أخي ما بقانا قعدة في هاذ البلاد... عندي شهادة جامعية و ما درت بها والو، تغيضك عمرك تشوف الناس كلها تتقدم إلا أنت تجري غير مور قهوة و سيجارة، رانا نصَبروا رواحنا بالشيء لي لقيناه" (مقابلة رقم19: س.ح، 22 سنة)، أي أن هذا الشاب يعاني بقوة من التهميش و الاحتقار، وليس له من القوة ليجابه الأقوياء، لم يعد له مكان في المجتمع هذا بحسب قوله، فبالرغم من شهادته الجامعية لم يجد منفذا، وما يحز خاطره هو أن يرى الجميع يتقدم إلا هو، همه الوحيد أن يجد بضع دنانير يشتري بها سيجارة و قهوة، ربما كرة القدم من خلال المناصر هي من تعطيه الصبر. إذن بهذا يمكن القول أن المدينة هي ميدان خصب لبزوغ شتى أشكال التعبير عن عدم الرضا أو السخط المرتبط بالجانب السياسي.

لو لم تُسهم القيمة المُقَرْ بها اجتماعيا لمُمارسة الرياضة (لاسيما منذ أن أصبحت المنافسات الرياضية واحدة من معايير القوة النسبية للأمم، و واحدة من المسارح الأكثر

جرأة و من ثم رهانا سياسيا) في إخفاء الفصل بين الممارسة و الاستهلاك و وظائف الاستهلاك السلبي فحسب، لبدت الرياضة الاستعراضية بوضوح أشدّ بضاعةً شعبيةً، و تنظيم الاستعراضات الرياضية فرعا من بين فروع أخرى لصناعة الاستعراضات التجارية. إن كرة القدم أكبر من أن تختزل في لعبة، نحن نتكلم عن كرة القدم من وجهة نظر تشجيعية، فمن المستحيل أن يشجع شاب فريقه المفضل داخل الملعب دون أن يتفاعل بقوة مع حماس المباراة و الجماهير، حيث يصرح مُناصر: "لو كان ما كانش les stades منيش عارف كي كان غادي يصرا للشبيبة، و الله نطرطقو، الملعب فيه نخرجوا ضغط الأسبوع، نستناو كل أسبوع هذاك الويكاند باه ندخلوا للملعب و نديفوليو" (مقابلة رقم 17: ت.أ، 16 سنة). أي بهذا إن الملعب هو ملتجأ الشباب الأسبوعي، إنه هو فضاء تعبيري (ترفيهي) اجتماعي حر، لو لم يوجد لانفجر الشباب من شدّة المكبوتات.

نحن بحديثنا عن مباريات كرة القدم و ظاهرة التشجيع في المدرجات نتوقف لنتحدث عن الظروف الاجتماعية لفئة المُشجعين، عن تاريخ الأحداث الاجتماعية، أي عن تاريخ المدن. و بشكل منطقي يظهر أن تاريخ المدن رياضيّا هو تلك اللقاءات بمناسبة مباريات كرة القدم، بما يعنيه من ثنائيات للتنافس الحضري، مرسيليا/باريس في فرنسا، نابولي/تورينو في إيطاليا...[1]، في حالتنا وهران/شلف مثلا، ستتولد عن هذه المنافسات خبرات مختلفة، و ستعرف الصور التعبيرية داخل المدرجات بين المناصرين تبادل تشجيعي يرتبط بصورة المدن بحد ذاتها. و من المدن إلى المباريات ينتقل C. Bromberger إلى مستوى السّير الذاتية التي تضمها تلك التظاهرات الجماعية و التي توضح تنوع مسارات المشجع المحترف و التحزب، حيث يُعتبر التحزُّب أحد الشروط الأساسية لاكتمال الأهمية الدرامية للمباراة. كما يشير نفس الباحث و هو يقتفي في ذلك مقولات Elias، إلى أن البحث عن الانفعالات محرك رئيسي للفرجة الرياضية، و إذا كانت مباراة كرة القدم هي فرجة كاملة، فالسبب في

[1] نيقولا بويج- سيداج ، مرجع سبق ذكره، ص 174.

ذلك هو أن المشجعين ذاتهم و بمختلف أشكالهم، فرادى أو مجموعا، هم جزئ من الفرجة و فاعلين فيها بمعنى الكلمة، شأنهم شأن اللاعبين، نجد في هذا الشأن التصريح الآتي: "يا أخي شلفاوة يكرهوا وهران، عندهم عقدة من وهران... تعقل مين زيرونا و طحنا القسم الثاني، بالرغم أن المباراة مازادتهم والو، تبينلك بلي هدفهم يشوهو وهران الباهية..." (مقابلة رقم 8: م.ع، 19 سنة)، بمعنى أن مناصري مدينة شلف و بالضبط فريق أولمبي شلف يكرهون مدينة وهران حسب هذا المشجع، ولهم عقدة اتجاهها، و يضرب مثلا عن المباراة الشهيرة بين مولودية وهران و أولمبي الشلف و التي سقط بسببها فريق مولودية وهران إلى القسم الثاني سنة 2008، فحسب المُتحدث أن المباراة لم تكن لها أهمية بالنسبة لفريق أولمبي شلف إلا أنهم تعمدوا تشويه صورة الفريق الوهراني.

الحديث عن الجمهور و اثنولوجيا الفرجة الرياضية يستند حسب C. Bromberger على منطقين: أولهما هو منطق التحزب و هو ينطوي على لغة معارضة الآخر، قوامها الإقلال من شأن الخصم على صعيد القوة الجنسية، و مجموعة من الحركات و الكلمات العدائية أو التي تتخذ شكل تنويعات حول الحياة و الموت. أما المنطق الثاني فهو "التسامح في شأن تفجر الانفعالات الجماعية"، و هنا أيضا نجد الباحث يعاكس بعض التحليلات الشائعة و التي تشبع بالمعنى و الدلالة سلوك المشجعين و الذي لا يعدو أن يكون "لغة المنافسة الكامنة في منطق اللعبة"[1]. على أن مثل هذه التجليات لا مكان لها في الحياة اليومية و لا تظهر إلا في الملعب أو في المجال البالغ الخصوصية، و هكذا يصبح الملعب، مثلما يشير إليه Elias ثقلا معارضا للكوابح التي تفرض ذاتها على التفاعلات اليومية و لعملية "تمدن الطبائع".

عبر هذه الرؤية النظرية لظاهرة العنف في ميدان رياضة كرة القدم نكون قد أبرزنا أن الشباب الذين يدخلون الملعب لتشجيع فريقهم الخاص بهم، سلوكهم العدواني محكوم

[1] نيقولا بويج- سيداج، نفس المرجع السابق.

وفق مجموعة من العناصر المتداخلة و التي تشكل شخصية و بيئة كل واحد منهم: المزاج، التنشئة الأسرية، الانتماء إلى الحي، الاحتكاك بالأصدقاء، الوضعية المهنية، طبيعة مدرجات الملعب، المستوى الكروي و التسيير الرياضي، الظروف السياسية و التاريخية للمجتمع... إننا أمام اثنولوجيا رياضية، تخص عالم كرة القدم. من جهتنا نرى أن الشباب هو قبل كل شيء خلاصة ما وصل إليه المجتمع من ثقافة زرعها فيه من خلال تنشئته الاجتماعية العامة. فبقدر ما تتنوع و تختلف و تتباين الثقافات و المجتمعات، بقدر ما تختلف و تتباين أشكال تصورنا للشباب. لقد أبرزت نتائج المقابلات التي قمنا بها أن الشباب هو المحرّك الرئيسي للمجتمع، له قوة خاصة تجعله يرسم ملامحه بشكل واضح. إننا من خلال الإصغاء لهؤلاء الشباب و ملاحظتهم نجد أن درجة كفاءتهم الخطابية جد عالية، فهم يعبّرون عن مختلف ما يعيشونه بكل الوسائل المتاحة أمامهم دون التوقف أمام الحواجز الكابتة لمكنونهم.

خاتمة:

أضحت الرياضة جزءا من مجتمعنا الحضري و رهان هام لدى مختلف الهيئات و التنظيمات كذلك مصدرا للأرباح التجارية. الرّياضة هي "مُتحوّل ارتدادي"، في نفس الوقت جسمي، فكري و اجتماعي. الرياضة الحديثة ليس لها صلة حتمية بالمثل القديم "العقل السليم في الجسم السليم". لقد طوّرت طبيعتها الأصليّة المتمثلة في المرح و أصبحت تحمل العديد من الأبعاد (dénaturé et déludisé). أعطت بظهرها في نفس الوقت للتوازن الطبيعي، لتطور البشر الطبيعي، و إلى حقّهم في اللعب الحر، الآني و الفرح. الرياضة لم تعُد إلا إجهاد و معاناة فحسب، هي معالجة فنّية و تبعية آليّة، هي كذلك ظاهرة اجتماعية عالمية بدرجة عالية من النجاح، بل ظاهرة اجتماعية شاملة. فبالرغم من البقع السوداء التي تمسها تارة إلا أنها تظل حاضرة، تشغل بال العديد من

الأطراف، ليس فقط المؤسسات غير الحكومية أو المؤسسات الحكومية الدولية، بل شتى وسائل الإعلام لأنها بكل بساطة مُولدة للمهرجان، لهذا أصبحت تمثل سلعة تستهلك و سوق ذات أرباح طائلة.

أما عن العنف فيمكننا القول كخلاصة لما سبق أنه ظاهرة اجتماعية واقعية تُجسد تفسيرها في التاريخ الإنساني ذاته، و في توجه الطاقات النفسانية و الاجتماعية و الاقتصادية، أي طاقات القوة نحو تنازع الوجود و تغالب الإرادات. و مما لا ريب فيه أن الفرد أو الجماعة يكتسبان السلوك العُنفي أو اللاّعُنفي من خلال الثقافة التي توجه المجتمع ككل، و تحكمه أو لا تحكمه من خلال أدوات الضبط العُنفي و معايير السلوك و قيم السياسة. في الأخير سنجد مجموعة من المصبات تُستعمل لتفريغ تلك الطاقة الكامنة في جسم الإنسان أبرزها الرياضة.

المراجع:

كتب باللغة العربية:

- أمقران. ع. ر (2009)، في سوسيولوجيا المجتمع، مصر، المكتبة العصرية للنشر و التوزيع.

مجلات باللغة العربية:

- بولبيار. ج، (2006)، "مشاهد من الحياة الرياضية بسيدي مزغيش، قرية من ولاية سكيكدة، وهران، إنسانيات، الرياضة ظاهرة و ممارسات، العدد 34، CRASC.
- نيقولا بويج. س، (2001)، عرض ل: "مباراة كرة القدم: اثنولوجيا الولع المُتحزب في مرسيليا، نابولي، تورينو" لكريستيان برومبرجيه، القاهرة، مجلة متون عصرية في العلوم الاجتماعية، التمدن بين الاجتماع و التاريخ، مركز الدراسات و الوثائق الاقتصادية و القانونية و الاجتماعية(CEDEJ)، رقم 02، المطبعة الذهبية.

مذكرات باللغة العربية:

- سنوسي. م، كرة القدم و المجتمع: دراسة ميدانية لظاهرة كرة القدم في مدينة غليزان، (1993)،رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران.
- بعلي. م. س، (2009)، العنف بملاعب كرة القدم: مقاربة أنثروبولوجية لحالة أنصار كرة القدم في مدينة مستغانم، مذكرة ماجستير في الأنثربولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

كتب باللغة الفرنسية:

- BONIFACE. P, (2001) Le monde contemporain : grandes lignes de partage, Paris, Ed Puf.
- BOURDIEU. P, (1984), Questions de sociologie, Paris, Ed Minuit.
- BROHM. J-M, PERELMAN. M, (2006), Le football, une peste émotionnelle, Paris, Ed Gallimard.
- CHESNEAUX. J, (1983) De la modernité, Paris, Ed La Découverte.
- DE COUBERTIN. P, (1972), Pédagogie sportive, Parsi, Ed Librairie J. Vrin.
- DUMADEZIER. J, (1973), Vers une civilisation du loisir?, Paris, Ed Seuil.
- EHRENBERG. A, (1991), Le culte de la performance, Paris, Ed Calmann-Lévy.
- ELIAS. N, Dunning. E, (1994), Sport et civilisation: la violence maitrisée, Paris, Ed Fayard.

مجلات باللغة الفرنسية:

- DE MONTLIBER. C, (1988), « Sport, spectacle sportif et violence. Le drame du Heysel », Actes du colloque sur les sports, Strasbourg.

- DIETSCHY. P, (05-2010), « La passion du football », In Revue: l'Histoire, N° 353.
- HADJIDJ. D, (2011), « Le paradoxe de l'espace public dans la ville algérienne », In Revue Afrique et Développement, Vol XXXVI, N° 2, CODESERIA, Dakar.
- PERELMAN. M, (05-1985), « Corps, espace et urbanisme », In Revue Quel corps? N° 26/27, Le corps analyseur, Paris.
- SAFIR. N, (2012), « La jeunesse algérienne : un profond et durable malaise », In Revue Confluence Méditerranée, Ed l'Harmattan, Paris.